مراجعات

د. يعقوب زيادين، البدايات (سيرة ذاتية.. اربعون سنة في الحركة الوطنية الاردنية)، بيروت: دار ابن خلدون، ١٩٨٠، ١٨٠ صفحة.

يضع الدكتور يعقوب زيادين المحاولة الاولى التي يبدأها أحد قياديي الحزب الشيوعي الاردني، في تدوين تجربته النضالية من خلال «السيرة الذاتية». وهو يسجل المسيرة الشاقة التي قطعها الشيوعيون في الاردن، في كفاحهم الوطني بمواجهة نظام مرتبط بالاستعمار والامبريالية، منفذ لمخططاتهما ومشاريعهما في المنطقة، نظام أشهر كل ما لديه من أسلحة الارهاب والبطش ضد المناضلين الوطنيين، واستحضر خبراء فاشيين من حلف الاطلسي، في محاولة لاجتثاث الروح الوطنية التقدمية من الاردن.

وهذه المحاولة للدكتور زيادين، انتظرناها دائما، من اولئك المناضلين، الذين عاشوا تجربة معتقل الجفر الصحراوي لسنوات طويلة، وعبروا تجربة زنازين سجون عمان والزرقاء، وكانوا ضيوفا على كل سجون المملكة.

ولطالما سمعنا شيوعيا او آخر، يتحدث عن تلك الايام، متذكرا هذه الحادثة أو تلك، هذا الموقف أو ذاك، عاكسا بحديثه أجواء فترات من تاريخنا المعاصر، التي يعيها جيلنا كحلم يعود لأيام الطفولة، والتي سبقت ولادة أجيال اخرى من ابناء شعبنا، لتمنينا على أولئك المناضلين، أن يدونوا تلك الذكريات؛ وها ان الطبيب المناضل عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الاردني، البدوي، الذي أنبتته منصاريب قرية نائية من قرى الكرك، وعرفته حجارة القدس ودروبها الضيقة، مثلما عرفه شيوخها واطفالها مكافحا صلبا، ها ان الطبيب يعقوب زيادين يضع بين ايدينا عملا رائعا، ينكبُّ على إعداده شهورا طويلة، يقف الى جانبه في رحلة الابداع هذه الاديب القصّاص والمناضل، محمود شقير، وبدقة وأناة جرّاح، وبشاعرية وحساسية ثائر أقعم قلبه بحب الحياة وحب الناس في وطنه وفي كل العالم، ينجز محاولته تلك، «البدايات»، وها ان جهده يلاقي تقديرا وتعاطفا من اولئك الذين لم تزل محفورة في وجدانهم، ايام النضال العارم، التي غدت فيها الجماهير الاردنية والفلسطينية سيدة مصيرها، عندما اسقطت حلف بغداد وطردت الضباط الانجليز والجاسوس غلوب، وألغت المعاهدة الاردنية البريطانية، وجاءت بحكومة سليمان النابلسي الوطنية، الى ان قام الملك بانقلابه مستندا الى الدعم البريطاني والاميركي، ليُدخل البلاد في عهد من الارهاب، استمر عشر سنوات، انتهت بالانهيار أمام الغزوة الصهيونية سنة ١٩٦٧، وما ترتب على ذلك من وقوع الجزء المتبقي من فلسطين في أيدي المحتلين الاسرائيليين.

ولعله من الملائم، قبل البدء في استعراض «بدايات» الدكتور زيادين، ان نقوم بتسجيل عدد من الملاحظات التي لا بد من تثبيتها. فالكتاب، ليس تاريخا لمسيرة الحركة الوطنية الاردنية في الفترة منذ اوائل